الدكتور علي الربيعي - الخبير العالمي في تطوير المدارك العقلية ،لـ"الثورة":

نثق بدور العقلاء في وأد الأزمة الراهنة في اليمن

العلماء أبناء بيئتهم تأثروا بالنهج السياسي فكان دورهم ضعيفاً

تحكيم الشرع والمنطق والابتعاد عن أجندة الأحزاب هو السبيل الأمثل للخروج من الوضع الراهن

الإعلام لم ينصف الحقيقة وتحيز للرأي المعارض

حوار/ إياد الموسمي

..التداعيات التي شهدتها وتشهدها بعض الأقطار العربية، ومنها بلادنا، لها أسبابها وخلفياتها، وجدت فيها ومن خلالها بعض الأطراف الداخلية والخارجية فرصتها السانحة لامتطاء موجة المطالبات الشعبية بالإصلاح والتغيير وتحسين الأوضاع المعيشية فأججت الاحتجاجات السلمية المشروعة ووجهتها نحو حالات من السخط المصحوب بنزعات العنف والتطرف..

في الحوار التالي نبحث مع الخبير العالمي في تطوير المدارك العقلية رئيس أكاديمية حُفاظ الوحيين العالمية في الأزمات العربية الدكتور علي الربيعي، جوانب هذه التداعيات والأحداث.

● في البداية هل يمكن إيضاح حقيقة ما يدور في العالم العربي عموماً واليمن خصوصاً؟

– اليمن ليست بمنأى عن ما يحدث في الدول العربية من احتجاجات واسعة ومن لا يعرف حقيقة ما يدور وراء الكواليس سيظن أن المشكلة سببها المطالبات بتحسين المعيشة وتوظيف العاطلين ومحاربة الفساد والمفسدين المتنفذين في الدولة، لكن الحقيقة المغيبة أن هذه المطالب التقت مع خطط يخطط لها منذ حرب ٧٣ بين العرب وإسرائيل وتهدف هذه المخططات إلى كيفية إحكام القبضة على مصادر النفط والثروات للشعوب العربية من خلال خلخلة الصف الداخلي وزرع الفتنة بين أطياف العمل السياسي وإحداث شروخات بين الدول والشعوب وبين مكونات الشعب الواحد، ولديهم بعثات متخصصة في مجالات مختلفة ويعملون تحت مسميات ومنظمات إنسانية تقدم الدعم الإنساني وتقوم بدراسة خصائص شرائح المجتمع لمعرفة الأسباب والاختلافات التي من خلالها يستطيعون إحداث الشق والخلافات وسبل تأجيجها.

وقد كان العمل يسير بسرية تامة وفي الأعوام الأخيرة بدأ في الظهور للعلن تحت مسميات مختلفة ولم يتنبه الساسة لهذه المخططات رغم الإعلان عنها وتغافلت عنها الشعوب العربية وها هم اليوم يقومون بتنفيذ الخطط ولكن عن طريق دعم حركات المعارضة وتسخير الآلة الإعلامية بكل أشكالها لدعم مطالب المعارضة التي تبدأ بمطالب مشروعة ثم يرفعون سقف المطالب شيئا فشيئاً وتدور الآلة الإعلامية الجبارة في إثارة الشعوب وتأجيج الرأي العام وتبدأ الأيدي الخفية في اللعب بنار الدم ويبدأ سفك الدم المحرم بطرق ماكرة ويختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل وتكون قوالب الاتهام جاهزة لتلصق بهذه الجهة أو تلك ويضرب هذا بذاك فيثور الشارع مع هذا الطرف أو ذاك.

– وما يحدث اليوم في بلاد السعيدة هو من نفس وجنس ما يحدث في الدول العربية الأخرى، فقد التقت مطالب شعبية مشروعة مع مخطط مرسوم لتقسيم اليمن إلى دويلات وسلطنات تناهر بعضها بعضاً وتحارب بعضها بعضاً، خاصة أن هناك مقومات واختلافات قابلة لتنفيذ الخطط على أرض الواقع، وأظن أن الدولة تدرك هذه الأمور لكنها لم تواجهها بخطط توعوية شعبية شاملة يشارك فيها الساسة والإعلام والتربويون والعلماء وخطباء المساجد لإفشال هذه الدسائس.

● لكن هناك من يبرر بأن ما يدور في الاحتجاجات ينادي لمطالب مشروعة؟

– لقد بدأت حركة الاحتجاجات بمطالب مشروعة كفلها الشرع والدستور ثم بدأت الأحزاب بركوب الموجة لتخطف المنجزات التي تحققت للشباب وأضافت لها مطالب انتقامية من الدولة تستهدف زعزعة البلاد ومؤسسات الدولة ومكتسبات الشعب التي تحققت رغم مرور البلاد بأزمات وحروب طاحنة، فلا تخرج من أزمة إلا وتجد نفسها في أزمة مشابهة، وذلك منذ حرب الثمانينيات بين الدولة والجبهة الاشتراكية في المناطق الوسطى وما لها من تداعيات اقتصادية وسياسية إلى أحداث متفرقة ومناوشات عسكرية وحرب باردة بين الشطرين في الشمال والجنوب، وما تلا ذلك من أحداث في المنطقة خاصة حرب الخليج الثانية والتي كان لها انعكاسات خطيرة على الدولة .

● لماذا من وجهة نظرك كل هذا؟

– تأثير ذلك على الاقتصاد الوطني وما نشب بعد ذلك في مجالات عدة أدى إلى اختلال واسع في مناخ متعددة وكان الأثر الأكبر في الجانب الاقتصادي الذي تعرض لانتكاسات في العملة الوطنية وارتفاع نسبة البطالة ما سبب ضعف الاقتصاد وأيضاً سبب عودة عشرات الآلاف من العمالة من دول الخليج ولم تكد الدولة تخرج من المأزق إلا وتجد نفسها في صراع حزبي داخلي كانت نهايته إعلان الانفصال وقيام حرب ٩٤ لتزيد من وطأة الأزمة الاقتصادية وما خلفته الحرب من سرقة واسعة لأموال الدولة وتهريبها إلى الخارج، وتلا ذلك محاولات لإعمار وإصلاح ما دمرته الحرب والقيام بمشاريع ضخمة في المحافظات الجنوبية والشرقية لتعويض تلك المناطق سنوات الحرمان، وهذه السنوات استغرقت الكثير من الأموال من خزينة الدولة وأحدثت الاستياء في المناطق الشمالية وكان لها تداعياتها، كما مرت حرب الحوثيين التي استهلكت الكثير من التضحيات البشرية والمعدات الحربية والتكاليف الاقتصادية، ولذا تعاني الدولة من مافيا الفساد المالي والإداري الذي ينهش في كل مفاصل الدولة بلا رحمة، رغم ما قامت وتقوم به أجهزة الرقابة ومكافحة الفساد.

وهذا الشيء زاد من الشرخ بين الطبقات الفقيرة وطبقات الفساد وزاد السخط العام وتنامى وبدأ يتحول إلى تسونامي جارف خاصة بعد أحداث تونس ومصر وبدأت الأحزاب في استثمار ذلك واعدة الشعب بالرفاهية والنعيم والتحسين الشامل ومحاربة الفساد والمفسدين وتناسى الشباب والشعب أن المعارضين من الحزبيين هم جزء من منظومة الفساد القائم ولهم مساهمات واسعة في الفساد وهم يعرفون جيداً أن وعود الرفاهية هي وعود لن تتحقق، لسبب بسيط، وهو أن حجم المطالب الشعبية أكبر بكثير من إمكانيات الدولة وخزينتها، فمن أين ستأتي الرفاهية الموعودة، إلا إن كانوا قد أعلنوا توبتهم وسحب ما سرقوه من المال العام في الداخل والخارج وإعادته إلى خزينة الدولة لتبدأ الحركة الاقتصادية تأتي بثمارها وخيراتها فينعم الشعب ببركة وخيرات التائبين الجدد.

● دائماً ما تلقى اللوم على الأحزاب في سبب كل تلك المشاكل؟ لماذا؟

– لقد جرب الشعب الأحزاب ولم يَجْنِ منها إلا أزمات ومشاحنات وصراعاً على الكراسي والنفوذ هنا وهناك، وها هي الأحزاب تحفر اليوم حفرة النار التي سيكتوي بها الشعب وتزيد من معاناته وطحنه وعلى الشعب أن يدرك الخطر المحدق به ويقوم بواجبه في التصدي لهذه الأخطار ويلغي من قاموسه مشاريع الأحزاب ويتحد صفاً واحداً للبناء والنماء ومحاربة الفساد السياسي والمالي والإداري ويقوم الشعب بنفسه بتحديد مطالبه المشروعة وسيجد الاستجابة لأنه يطلب حقوقه المشروعة التي كفلها الشرع و الدستور.

● بالإضافة إلى عملكم في تطوير المدارك العقلية أنت حاصل على الدكتوراه في العلوم الشرعية، من وجهة نظرك كيف تقيم موقف الشرع والعلماء أيضاً من الأحداث في بلادنا؟

– الحقيقة العلماء هم أبناء بيئتهم ويتبعون مذاهب مختلفة وبعضهم مسيّسون وهم كغيرهم من شرائح المجتمع تأثروا بفكر الحزب الذي ينتمون إليه، والأصل أن دور العلماء في يكون بارزاً لكونهم ورثة الأنبياء وكونهم يحتكمون لشرع الله فواجبهم الإسراع في وضع حلول لمثل هذه الإشكالات والأزمات، لكن للأسف الشديد العلماء منهم من اجتهد وآخر ذهب إلى حزبه وتعصب له ومنهم من اجتهدوا وظهروا أمام الناس أنهم على كلمة سواء، وهذه أثرت في مصداقية العلماء وقللت من دورهم والأصل أنهم هم الحكم والفيصل في مثل هذه المشاكل ولكن في اليمن أثرت الرؤى السياسية على توجه بعض العلماء سلباً.

● كيف ينظر الشرع إلى دعوات وتسمية يوم الجمعة بأسماء وكذلك تحويله إلى يوم لتأجيج الإشكالات؟

– الأصل أن يوم الجمعة هو يوم عيد للمسلمين فيه إفشاء السلام والمصافحة بين أبناء الدين الواحد، وفيه يجتمع المسلمون لتأدية الصلاة لكن مع الأسف تحول هذا اليوم إلى مأساة وكل طرف يعد العدة لهذا اليوم والضحية هم أبناء الوطن الذين تزج بهم القوى في أتون الأزمة ولا حياة لمن تنادي من العلماء والمرشدين، بل البعض جعل من دور العبادة وسيلته في تحريض المسلمين، وهذا أمر مرفوض، وندعو الخطباء إلى الخوف من الله وعدم تحريض الناس من أي طرف كان السلطة أو المعارضة.

● دكتور من وجهة نظرك هل المبادرات والتنازلات التي قدمها الرئيس كافية لإطفاء فتيل الأزمات؟

– نعم المبادرة لو صلحت النوايا هي كافية لأن تكون بداية للانطلاقة لأن البلاد مرت بأزمات كثيرة ومرت بظروف عديدة وصبر الناس بالضراء والسراء، أقول كافية إن كانت ستخرج بمكاسب حقيقية للشعب تضمن له الاستقرار الاقتصادي والأمني ولكن إذا كانت النوايا غير سليمة فهذه المبادرة لا تكفي وستحتاج لمزيد من التنازلات، إن لم تكن للشعب هذه التنازلات بشكل مباشر فلن نستفيد منها، لأنه كلما قدم الرئيس تنازلاً كلما ارتفع سقف المطالب.

● ما هي دعوتكم لأصحاب الدعوات التي تحرض الناس في مثل يوم الجمعة؟

– ندعوهم إلى أن يتقوا الله عز وجل في دماء الناس، ونشير أيضاً إلى أن أصحاب هذه الدعوات سينتظرون ما سيحصل من خلف الشاشات، خصوصاً منهم من دعا إلى أنها جهاد، لكنهم لم يقفوا في الصف الأول هم وأبناؤهم حتى يستشهدوا وينالوا الشهادة التي وهبوها لأبناء شعبهم، وهذه الأجندة معروفة، وواجب الشرع وواجبنا جميعاً أن نقول كلمة الحق، وأن يجتمع الجميع للم الصف والابتعاد عن هذه الفتنة، لأن شرارتها قد تبدأ صغيرة وقد تكون لها انعكاساتها في إراقة الدم المحرم وفي زيادة السخط العام، وذلك ما تريده المعارضة، تصيّد الأمور حتى تسفك الدماء حتى تحصل الكارثة التي طالما يتهرب من الوقوع فيها جميع أبناء الشعب، بمن فيهم القيادة السياسية.

● لماذا كل ذلك؟ وما الهدف منه؟

– الهدف من هذا كله هو المصلحة الشخصية والحزبية والسباق إلى الحكم الذي يسعى إليه هذا وذاك، والضحية من جراء الأحداث التي تحصل هو الشعب، هم الشباب، اقتصاد الوطن الآن في مأزق إذا حدثت الكارثة التي يخطط لها فإن خزينة الدولة لهذا العام ستصفر على الأقل، لأن كل فاسد سيأخذ ما تحت يده وبالتالي تتأثر الميزانية، وهذا له انعكاساته، فالموظف لم يقم عاماً كاملاً بدون ميزانية، لأنه لم يتقاض أجره، وأغلب الأعمال تتوقف، وهذا سيكون له تداعياته الخطيرة على المدى القريب والبعيد، على سبيل المثال إذا كنا في هذه الساعة ندفع ثمن ثورة ٢٦ سبتمبر، التي لها تداعياتها من عام ١٩٤٨م إلى اليوم، فهناك تداعيات لها تأثيرها السلبي على الاقتصاد على المستوى الاجتماعي والقبلي، لذا ندعو الجميع وكل العقلاء إلى أن يحكّموا شرع الله تعالى في مثل هذه الأمور، وأن يجتمعوا على كلمة سواء تضمن الاستقرار، وعلى الجميع أن يقبل بالتنازلات، كلٌ من جهته من أجل الوطن.

● كيف تعامل الإعلام العربي مع مثل هذه الأحداث؟ هل هو منصف؟

– الإعلام العربي هو مجموعات منه الرسمي الذي يعبّر عن مواقف بلدانه، وهناك إعلام مستقل، ولعلك هنا تقصد قناة «الجزيرة»، فهذه القناة لم تنصف الحقيقة بالصراحة، وكذلك الإعلام الرسمي وقع في خطأ من خلال الصدام مع هذه القنوات، فهي لها سياساتها الخاصة، وتميل إلى الرأي المعارض وتتبناه، وهذا الصدام ساهم في تحييد هذه القنوات مع الرأي الآخر والوحيد، ونلاحظ ذلك في تعليق المذيع نفسه وتوجيه الأحداث من خلال الاستباق والتلميح بما يمكن أن يقوم به المعتصمون، فالقنوات من خلال بعض المفكرين استطاعت أن تكون دليلاً يرشد المعتصمين إلى ما يمكن عمله، وهذا غير مقبول، لكن ما ننصح به هو فهم الإعلام والتعامل معه بإيجابية، ونستطيع أن نلزم الإعلام بشعاره الحيادي من خلال التواصل معه والاستمرار في إظهار الرأي الآخر وإرغامه على ذلك، وأعتقد أن الإعلام الرسمي والسلطة أهملا هذا الجانب، لكن يجب متابعة هذه القنوات من أجل كشف التضليل المتعمد وتوضيح الحقائق.